

مستقبل مصر الاقتصادى

للاستاذ عيسى متولى

تبشر الأدلة الكثيرة بما ينتظر مصر من تطور اقتصادى شامل بعد الحرب ، وبأهمية مكانتها الاقتصادية فى العالم الجديد . فقد أهلتها الظروف لتبوء مركز اقتصادى ممتاز له أهميته وله أثره فى تغيير مجرى الحياة الاقتصادية فيها ، وتنمية مواردها ، وإنعاش أسواقها ، فوق ما تتمتع به من سمعة مالية طيبة ، وما لها من مكانة ملحوظة فى دنيا الاقتصاد ، بفضل موقعها الجغرافى ، الذى جعل منها مركز اتصال هام بين الشرق والغرب ، وهى بجانب ذلك قطر زراعى ، غنى بإنتاجه ووفرة حاصلاته .

ولقد مهدت ظروف الحرب لإبراز شخصية هذا القطر من وجوه كثيرة ، فأصبحت مصر ملتقى أنظار الدول ، وعقدت بها الاجتماعات السياسية ودارت المشاورات الهامة بين أقطاب السياسة وقادة الأمم ، فرحبت بقاصديها من أبناء الشعوب المختلفة ، ومن نزل بها من أصحاب التيجان ، وقدمت للأمم المتحالفة شتى المعونات ، واحترمت ما ارتبطت به من عهود ومواثيق احتراماً أجمعت الدول على تقديره والإشادة به ، فى وقت نقضت فيه المواثيق ، وضرب بها عرض الحائط ، وخولفت المعاهدات ولمّا يحف مدادها ... وتخلصت من ربة الدين الأجنبي "بتحويله" إلى دين وطنى ، فحجت من جبينها وصمة لازمتها أجيالاً طويلة .

كل هذه العوامل ساعدت على إبراز شخصية مصر الاقتصادية بقدر ما ساعدت على إبراز شخصيتها من الناحية السياسية والاجتماعية ، وقامت دليلاً على أن مصر قبضة بأن تتبوأ المركز المالى الذى يليق بمكانتها ، فتصبح عاصمتها مركزاً دولياً لا يقل أهمية عن لندن أو "نيويورك" .



نعود بعد تلك المقدمة لتبين مدى التطور الذى أحدثته الحرب فى حياتنا الاقتصادية ، فزى أنها تناولت معظم نواحيها ، فن الناحية الزراعية ، نجد أن ظروف الحرب أرغمتنا على تنويع حاصلاتنا الزراعية بعد أن كنا نعتمد على محصول واحد ، تركّز عليه دعائم ثروتنا القومية ، فإن أصاب هذا المحصول حظاً من الرواج انتعشت مالتنا ، وإن لم يصب رواجاً استهدفنا لأخطر الأزمات ، فكنا والحالة هذه أسرى للظروف التى تحيط بمحصولنا الذى عقدنا عليه كل الآمال .

ولا شك أن تنوع الحاصلات الزراعية يعد خطوة موفقة في سبيل تنمية موارد البلاد الاقتصادية ، لأنها ستفتح أسواقا جديدة لإنتاج جديد ، كما إلى عهد قريب نهمل شأنه وننصرف عن العناية به ، رغم حاجتنا إليه .

كما أن هذه الحاصلات ستدعو إلى قيام الصناعات الزراعية ، ومن عجب أن تهمل مصر هذا اللون من الصناعة وهي بلد الإنتاج الزراعي الوفير ، إهمالها للثروة الحيوانية التي لو عنى بها لكانت موردا من خير الموارد الاقتصادية ؛ والذي نأمله أن تستغل هذه الثروة المقبورة ، وأن تجد الصناعات الزراعية من رجال الزراعة ما يساعد على انتشارها وازدهارها .

ومما يزيدنا تفاؤلا بمستقبل مصر الزراعي مشروع الإقطاعات الزراعية ؛ والاستعانة بسواعد الشباب من خريجي الزراعة في استغلال الأراضي البور للاستفادة بها ، ولا ريب أن نجاح هذا المشروع الجليل يحقق أغراضا كثيرة ، إذ يفسح مجال العمل الحز أمام الشباب ، ويوجههم وجهة صالحة في ميدان الحياة العملية ، ويفيد البلاد بإصلاح هذه المساحات الشاسعة من أراضيها للانتفاع بخيراتها ، وتحويلها إلى أراض زراعية صالحة .

ومن المسلم به أن هذه الحرب التي شنها رجال الصحة ورجال الإصلاح الاجتماعي على الجهل والفقر والمرض ستنتج الريف ، بمرور الأيام ، من هذه الآفات الاجتماعية الخطرة وستنتج الفلاح من برائن المرض والضعف ؛ فتخلق منه رجلا قويا سليما ، يقبل على العمل في عزم ونشاط فيتضاعف إنتاجه ، وشتان بين عامل حطم المرض قواه ، وسلبه نشاطه ، وهادم بنيته ، وبين عامل تملؤه الصحة ويفغره النشاط .

ومن المرتقب أن تنهج الأمم نهجا جديدا في تبادل الحاصلات الزراعية ، وأن تتبع سياسة دقيقة في تنظيم توزيع الأغذية ، على أساس حاجة كل فرد ، ولقد دعت أمريكا في العام الماضي ، ممثلي الأمم إلى " مؤتمر الأغذية الدولي " الذي عقد لهذا الغرض ، وكانت مصر من بين الأمم الممثلة في المؤتمر .

وأما من ناحية التجارة ، فإن كانت الحرب قد جنت على بعض أنواعها ، فشلت حركتها وسببت كسادها لانتقطاع الوارد منها ، إلا أنها من ناحية أخرى قد أخذت بيد سلع أخرى فرضتها ظروف الحرب ، ووجهت شطرها الأيدي العاملة . ولانتقطاع الواردات أثره الظاهر الملموس في حركة التجارة الخارجية والداخلية ، بسبب تعطل الملاحة ، واقتصارها على نقل المؤن الحربية والذخائر والجنود .

انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الصناعة ، ولطاماً نادى المسكون وقادة الرأي من رجالنا الاقتصاديين بضرورة العمل على إحياء الصناعة في مصر بجانب الزراعة ، لتحقيق التعاون الاقتصادي ، وترطيدا لدعائم ثروتنا الداخلية ، إذ لا غنى لقطر من الأفطار عن الزراعة والصناعة معا ، فهما الساعدان اللذان تعتمد عليهما الدولة في ماليتها ، فالزراعة ثروة لا يستهان بها ، ولكن لا بد لهذه الثروة من يد تحولها إلى إنتاج يمكن الاستفادة به ، فلا قيمة للقطن مثلا إذا لم تقم بجانبه صناعة الغزل والنسيج ، ولا قيمة لمحصول من المحاصيل الزراعية إذا لم تقم بجانبه الصناعة التي تهيئه لاستهلاك .

وظلت مصر حقبة طويلة من الزمن تعتمد في استهلاكها الداخلي على الواردات الصناعية الأجنبية . فلما اندلعت نيران الحرب القائمة ، وانقطعت عن أسواقنا هذه الواردات ، أحسنا بعظم حاجتنا إلى كثير من حاجيات المعيشة ، وعانينا متاعب جمة في الحصول على الضروريات ، فلمسنا مبلغ خطتنا الأول وإهمالنا شؤون الصناعة ، ولعلنا آمنا اليوم — بعد أن عضتنا الحاجة بأنيابها — بضرورة العناية بإحياء الصناعات في مصر ، والنهوض بها .

ولقد أرغمتنا ظروف الحرب ، ووطأة الحاجة ، على إحياء بعض الصناعات الصغيرة التي أمكن قيامها في هذه الظروف ، فوجه فريق كبير من العمال المصريين عنايتهم إلى ملء هذا الفراغ الواسع ، فوفقوا إلى حد ما في إحياء ألوان مختلفة من الصناعات ، لا نشك في أن الأمل كبير في ازدهارها وتقدمها ، إذا لاقت إتحانا من الصناع ، وتمضيدها من المستهلك .

اتسع بذلك مجال العمل أمام العامل المصري ، وتفتحت أمامه آفاق جديدة ، مما شجع الكثيرين على مزاوله الأعمال الصناعية ، وإيثارها بجانب غير قليل من عنايتهم ، ولكنهم يفتقرون إلى رؤوس الأموال التي تمكنهم من النهوض بها ، وخير معونة تقدم لهاؤلاء العمال إنشاء بنك صناعي ، يمدهم بسلفيات مالية ، تسدد على أقساط سنوية ، بقائدة بسيطة ، بعد دراسة كل مشروع يقدم إلى البنك الصناعي والتأكد من نجاحه ، وإشراف لجنة حكومية على جميع هذه المشروعات الصناعية .

ولقد تضمن خطاب العرش للدورة البرلمانية الحالية ، وعدا بإنشاء بنك صناعي لهذا الغرض ، ومتى تم إنشاء هذا البنك أصبح من الميسور إحياء الصناعة في مصر والنهوض بها ، وفتح ميادين جديدة أمام الشباب .

لقد أتاح لنا الظروف الفرصة لإحياء الصناعات الضرورية ، فيجب أن نستفيد من هذه الظروف ، ونغتنم الفرصة قبل فواتها ، فإن أخشى ما نخشاه أن تنذر هذه الصناعات

الناشئة بعد انتهاء الحرب ، فتموت في مهدها ، وقد لانتاح لنا فرصة أخرى لإحيائها وبعثها من جديد .

إن في مصر ثروات صناعية مقبورة ، يمكن الاستفادة بها لو أحسن استغلالها . . عندنا من الثروات المعدنية الشيء الكثير ، فلماذا لا نستغل هذه الثروات ، ونستفيد منها ؟

إن قيام الصناعة في مصر ضرورة من أهم الضروريات الاقتصادية ، واتقد لمسنا عاقبة إهمالنا طول تلك الحقبة من الزمن ، فيجب أن نعتبر ، وأن نتدارك أخطاء الماضي فنقبل على تدعيم مشروعاتنا الصناعية ، وهاهى الظروف تعاوننا ، وتساعدنا ، وتفتح أمامنا آفاقا جديدة ، وهاهى ذى شركاتنا الصناعية تسجل نجاحا مطردا في أعمالها ، تنطق به تقاريرها السنوية وميزانياتها العامة ، فالأحرى بنا أن نهض بالصناعة نهضة تكفل لها البقاء والنمو والازدهار .

ومن الوفاء ، ونحن بصدد الحديث عن نهضتنا الصناعية ، أن نسجل للنفور له محمد طلعت حرب باشا أياديه البيضاء وجهوده الصادقة في إعلاء صرح هذه النهضة المباركة وتوطيد دعائمها ، فهو أول من غرس بذورها ، وتعهدنا في مهدها حتى نمت ، وأينعت ، وآتت أطيب الثمرات .

نعود بعد هذه الجولة السريعة في ميادين الاقتصاد فتطلع إلى المستقبل الباسم ، وقد بدت طلائعه وأشرق بشائره ، يملأ صدورنا الأمل ، ويحفزنا الرجاء إلى استكمال مجد مصر . . مصر التي كانت ... ومصر التي ستكون ما

عيسى متولى